

سورة الحاقة

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ^(١) . وَهِيَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ آيَةً^(٢)

روى أبو الزَّاهِرِيَّةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْحَاقَّةِ أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. وَمَنْ قَرَأَهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾

قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝٤ . مَا الْحَاقَّةُ ۝٥ ﴾ يريد القيامة؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمُورَ تُحَقُّ فِيهَا؛ قَالَه الطَّبْرِي^(٤). كَأَنَّهُ جَعَلَهَا مِنْ بَابِ: لَيْلٌ نَائِمٌ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ حَاقَّةً لِأَنَّهَا تَكُونُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا أَحَقَّتْ لِأَقْوَامِ الْجَنَّةِ، وَأَحَقَّتْ لِأَقْوَامِ النَّارِ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِيهَا يَصِيرُ كُلُّ إِنْسَانٍ حَقِيقًا بِجِزَاءِ عَمَلِهِ.

وقال الأزهرى^(٥): يُقَالُ: حَاقَقْتُهُ فَحَقَّقْتُهُ أَحَقَّهُ، أَي: غَالَبْتَهُ فغلبته. فالقيامة حاقَّةٌ لِأَنَّهَا تُحَقُّ كُلَّ مُحَاقٍ فِي دِينِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ، أَي: كُلِّ مُخَاصِمٍ.

وفي الصحاح: وحاقه، أي: خاصمه وادَّعى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْحَقَّ؛ فإِذَا غَلَبَهُ قِيلَ: حَقَّهُ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا خَاصَمَ فِي صِغَارِ الْأَشْيَاءِ: إِنَّهُ لَتَرْتَقُ الْحِقَاقُ. وَيُقَالُ: مَالَهُ

(١) المحرر الوجيز ٣٥٦/٥، وزاد المسير ٣٤٥/٨ .

(٢) الكشاف ١٤٩/٤ . وذكر أبو الليث في تفسيره ٣٩٧/٣، والواحدي في الوسيط ٣٤٣/٤، والبعوي في تفسيره ٣٨٥/٤ أنها اثنتان وخمسون آية .

(٣) لم نقف عليه .

(٤) في تفسيره ٢٠٥/٢٣ .

(٥) في تهذيب اللغة ٣٧٧/٣ .

فيه حقٌ ولا حِقاق، أي: خصومة. والتَّحَاقُ: التخاصم. والاحتقاق: الاختصاص^(١).
والحَاقَّةُ والحَقَّةُ والحقُّ ثلاثُ لغاتٍ بمعنَى. وقال الكِسائيُّ والمؤرِّجُ: الحَاقَّةُ: يومُ
الْحَقِّ^(٢). وتقول العرب: لَمَّا عَرَفَ الْحَقَّةَ مِنِّي هَرَبَ^(٣).

والحَاقَّةُ الأولى رفع بالابتداء، والخبر المبتدأ الثاني وخبره، وهو: «مَا الْحَاقَّةُ»،
لأن معناها: ما هي. واللفظ استفهام، ومعناه التعظيمُ والتفخيمُ لشأنها؛ كما تقول:
زيدٌ ما زيدا على التعظيم لشأنه^(٤).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ استفهامٌ أيضاً، أي: أيُّ شيءٍ أعلمك ما ذلك اليوم.
والنبيُّ ﷺ كان عالماً بالقيامة ولكن بالصفة، فقيل تفخيماً لشأنها: وما أدراك ما هي؛
كانك لست تعلمها إذ لم تعانها.

وقال يحيى بن سلام: بلغني أنَّ كلَّ شيءٍ في القرآن «وَمَا أَدْرَاكَ»، فقد أدراه إياه
وعلمه. وكلُّ شيءٍ قال: «وَمَا يُدْرِيكَ»، فهو مما لم يعلمه^(٥). وقال سفيان بن عُيينة:
كلُّ شيءٍ قال فيه: «وَمَا أَدْرَاكَ»، فإنه أخبر به، وكلُّ شيءٍ قال فيه: «وَمَا يُدْرِيكَ»، فإنه
لم يُخبر به^(٦).

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾

ذَكَرَ من كَذَبَ بالقيامة. والقارعة القيامة؛ سُمِّيتَ بذلك لأنها تَقْرَعُ النَّاسَ بأهوالها.
يقال: أصابتهم قوارعُ الدهر، أي: أهواله وشدائده. ونعوذ بالله من قوارعِ فلانٍ

(١) الصحاح (حَقَّق).

(٢) أورد قول الكسائي البغوي في تفسيره ٣٨٥/٤.

(٣) الصحاح (حَقَّق).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/٢٠٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/٢١٣، وإعراب القرآن للنحاس
١٩/٥، وتفسير البغوي ٤/٣٨٥، والمحرم الوجيز ٥/٣٥٦.

(٥) النكت والعيون ٦/٧٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/٢٠٧ عن سفيان. ولعله الثوري، كما في تفسيره.

ولو اذعه وقوارص لسانه؛ جمع قارصة، وهي الكلمة المؤذية. وقوارع القرآن: الآيات التي يقرؤها الإنسان إذا فزع من الجن أو الإنس، نحو آية الكرسي؛ كأنها تفرع الشيطان^(١).

وقيل: القارعة مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين؛ قاله المبرد. وقيل: عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا؛ وكان نبئهم يخوفهم بذلك فيكذبونه. وثمود قوم صالح، وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز. قال محمد ابن إسحاق: وهو وادي القرى، وكانوا عرباً. وأما عاد فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف. والأحقاف: الرمل بين عمان إلى حضرموت واليمن كله؛ وكانوا عرباً ذوي خلق وبسطة؛ ذكره محمد بن إسحاق^(٢). وقد تقدم^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلَكُوا بِطَاغِيَةٍ ﴿٥﴾﴾

فيه إضمار، أي: بالفعل الطاغية. وقال قتادة: أي: بالصيحة الطاغية^(٤)، أي: المجاوزة للحد، أي: لحد الصيحات من الهول، كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحُمْطِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: ٣١]. والطيغان: مجاوزة الحد، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَاءَ الْمَاءُ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١] أي: جاوز الحد، وقال الكلبي: بالطاغية: بالصاعقة. وقال مجاهد: بالذنوب. وقال الحسن: بالطيغان^(٥)، فهي مصدر؛ كالكاذبة والعاقبة والعافية. أي: أهلكوا بطغيانهم وكفرهم. وقيل: إن الطاغية عاقر الناقة؛ قاله ابن زيد^(٦). أي: أهلكوا بما أقدم عليه طاغيئهم من عقر الناقة، وكان واحداً، وإنما هلك

(١) الصحاح (قرع).

(٢) النكت والعيون ٧٦/٦، وفيه كلام المبرد.

(٣) ٢٦٤/٩.

(٤) تفسير البغوي ٣٨٦/٤. وأخرجه الطبري ٢٠٩/٢٣.

(٥) النكت والعيون ٧٦/٦، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٠٨/٢٣.

(٦) النكت والعيون ٧٦/٦.

الجميع لأنهم رَضُوا بفعله ومالؤه. وقيل له: طاغية؛ كما يقال: فلان راوية الشعر، وداهية وعَلَامَةٌ ونَسَابَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَذَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردة تُحْرِقُ ببردِها كإحراق النار؛ مأخوذة من الصَّرّ، وهو البرد؛ قاله الضحّاك^(١). وقيل: إنها الشديدة الصوت^(٢). وقال مجاهد: الشديدة السَّموم.

﴿عَاتِيَةٌ﴾ أي: عتت على خزانها فلم تُطعمهم، ولم يطبقوها من شدة هبوبها؛ غضبت لغضب الله. وقيل: عتت على عادٍ فقهرتهم.

روى سفيان الثوري عن موسى بن المسيّب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله من نسفة^(٣) من ريحٍ إلا بمكيال، ولا قطرة من ماء إلا بمكيال، إلا يوم عادٍ ويوم نوح، فإن الماء يوم نوح طغى على الخُزّان، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»، والريح لما كان يوم عادٍ عتت على الخُزّان فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»^(٤).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أرسلها وسلّطها عليهم. والتسخير: استعمال الشيء

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٢١١.

(٢) ذكره في النكت والعيون ٦/٧٧ عن مجاهد.

(٣) في (خ): هبة، وفي (ظ): سفة، وفي (م): نسمة، وفي الكشاف ٤/١٥٠: سفية، والمثبت من (د) و(ز) و(ق).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٣٢) و(٨٠٧)، وأبو نعيم في الحلية ٦/٦٥. وأخرجه الطبري ٢٣/٢١٠ موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

بالاقتدار^(١). ﴿سَبَّحَ لَيْلًا وَنَهْيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: متتابعة لا تفتُر ولا تنقطع؛ عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما^(٢). قال الفراء^(٣): الحُسُوم: الثُّبَاع، مِنْ حَسَمِ الدَّاءِ: إِذَا كُوِيَ صَاحِبُهُ، لِأَنَّهُ يُكْوَى بِالْمَكْوَاةِ ثُمَّ يُتَابَعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. قال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي:

ففرَّق بينَ بيْنِهِمْ^(٤) زمانٌ تتابع فيه أَعوامٌ حُسومٌ^(٥)
وقال المبرِّد: هو من قولك: حَسَمْتُ الشَّيْءَ: إِذَا قَطَعْتَهُ وَفَصَلْتَهُ عَنْ غَيْرِهِ. وقيل:
الحَسَمُ: الاستئصال. ويقال للسيف: حُسام؛ لِأَنَّهُ يَحْسِمُ العَدُوَّ عَمَّا يَريده مِنْ بَلوغِ
عداوته. وقال الشاعر:

حُسامٍ إِذا ما قَمْتُ مُعْتَصِدًا بِهِ كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمُعْصِدٍ^(٦)
والمعنى أَنها حَسَمَتْهم، أَي: قَطَعَتْهم وَأَذْهَبَتْهم. فهي القاطعةُ بعذاب الاستئصال.
قال ابن زيد: حَسَمَتْهم فلم تُبْقِ مِنْهم أَحَدًا^(٧). وعنه أَنها حَسَمَتِ اللَّياليَ والأَيامَ
حتى استوفتها^(٨)؛ لِأَنها بدأت طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، وانقطعت غروبَ الشَّمْسِ
من آخِرِ يَوْمٍ.

وقال اللَّيْثُ: الحُسوم: الشُّوم. ويقال: هذه ليالي الحُسوم، أَي: تَحْسِمُ الخَيْرَ

(١) المحرر الوجيز ٣٥٧/٥ .

(٢) أخرج قولهم الطبري ٢١٢/٢٣ - ٢١٣ .

(٣) في معاني القرآن ١٨٠/٣ .

(٤) البين: الوصل، وهو من الأضداد. الصحاح (بين).

(٥) الكشاف ١٥٠/٤ .

(٦) البيت لظرفة، وهو في ديوانه ص ٣٧، وروايته: متصراً به. بدل: معتصداً به. وقبله:

فأليست لا ينفك كُشحي بطانةٍ
لِعَضْبِ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ مَهْنَدِ
والمعصِد: سيف يمتهن في قطع الشجر. القاموس (عضد).

(٧) أخرجه الطبري ٢١٤/٢٣ .

(٨) في (خ) و(م): استوعبتها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٧٧/٦،
ونسبه للضحاك. وينظر زاد المسير ٣٤٦/٨ .

عن أهلها^(١)، وقاله في الصحاح^(٢). وقال عكرمة والربيع بن أنس: مشائيم^(٣)، دليله قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]. عطية العوفي: «حُسُومًا» أي: حَسَمَت الخير عن أهلها^(٤).

واختلف في أولها، ف قيل: غداة يوم الأحد، قاله السدي. وقيل: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. وقيل: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام^(٥) ووهب بن منبّه. قال وهب: وهذه الأيام هي التي تسميها العرب أيام العجوز، ذات برد وريح شديدة، وكان أولها يوم الأربعاء وأخرها يوم الأربعاء؛ ونُسبت إلى العجوز، لأن عجوزًا من عادٍ دخلت سربًا، فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن. وقيل: سُميت أيام العجوز لأنها وقعت في عَجَز الشتاء^(٦). وهي في آذار من أشهر السريانيين. ولها أسام مشهورة، وفيها يقول الشاعر - وهو ابن أحمـر^(٧) - :

كُسِعَ الشِّتَاءُ بِسَبْعَةِ غُبَرٍ	أَيَّامِ شَهْلَتِنَا مِنَ الشُّهُرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ	صِنَّ وَصَنَّ بِرُّ مَعَ الْوَيْرِ
وَبَأْمَرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ	وَمُعَلَّلٍ وَبِمُظْفَى الْجَمْرِ
ذَهَبَ الشِّتَاءُ مُوَلِيًّا عَجَلًا	وَأَتَتْكَ وَاقِدَّةٌ مِنَ النَّجْرِ ^(٨)

(١) تهذيب اللغة ٤/٣٤٤.

(٢) مادة (حسم).

(٣) النكت والعيون ٦/٧٧، وقول عكرمة أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٣١٢.

(٤) تفسير البغوي ٤/٣٨٦.

(٥) النكت والعيون ٦/٧٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/٣٨٦.

(٧) قوله: وهو ابن أحمـر ليس في (د) وهو الصواب، فقد نقل صاحب اللسان (عجز) عن ابن بري أنها ليست لابن أحمـر، وينظر التعليق التالي.

(٨) نسبت الأبيات في معجم الشعراء ص ١٢٣ لأبي شبل عُصَم بن وهب التميمي البرجمي، وفي اللسان (كسع) لأبي شبل الأعرابي. وفي معجم الأدباء ١١/٥٧ لخزقة بن نباتة. وهي في الأزمنة والأمكنة =

و«حُسُومًا» نصب على الحال. وقيل: على المصدر. قال الزّجاج: أي: تَحْسِمُهُمْ حُسُومًا، أي: تُفْنِيهِمْ^(١)، وهو مصدرٌ مؤكّد. ويجوز أن يكونَ مفعولاً له، أي: سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ لِلِاسْتِئْصَالِ، أي: لقطعهم واستئصالهم. ويجوز أن يكون جمعَ حاسم. وقرأ السُّدِّي: «حُسُومًا» بالفتح، حالاً من الريح، أي: سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ مُسْتَأْصِلَةً^(٢).

قوله تعالى: ﴿تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام. ﴿صَرَغِي﴾ جمع صَرِيح؛ يعني موتى. وقيل: «فيها» أي: في الريح. ﴿كَانَّهُمْ أَعْجَازٌ﴾ أي: أصول. ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي: بالية؛ قاله أبو الطفيل^(٣). وقيل: خالية الأجواف لا شيء فيها. والنخلُ يذْكَرُ ويؤنثُ^(٤). وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿كَانَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فيحتمل أنهم شَبَّهُوا بالنخل التي صُرعت من أصلها، وهو إخبارٌ عن عِظَم أجسامهم. ويحتمل أن يكونَ المرادُ به الأصولَ دونَ الجذوع، أي: إنَّ الريحَ قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخلِ خاويةً. أي: الريحُ كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف. وقال ابن شجرة: كانت الريح تدخل في أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحَسُوِّ من أدبارهم، فصاروا كالنخلِ الخاوية. وقال يحيى ابن سلام: إنما قال: «خاوية»؛ لأن أبدانهم خَوَتْ من أرواحهم مثل النخلِ الخاوية^(٥). ويحتمل أن يكونَ المعنى: كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية عن أصولها من البقاع؛ كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ [النمل: ٥٢] أي: خَرِبَةٌ لَا سُكَّانَ

= ٢٧١/١، وثمار القلوب للثعالبي ص ٣١٤ دون نسبة. قوله: كسع الشتاء: الكسع شدة القمَر، يقال: كسعه بكذا وكذا: إذا جعله تابعاً له ومُذْهَباً به. والشهلة: المعجوز. والنجر: الحر. اللسان (كسع) (شهل) (نجر).

(١) معاني القرآن للزجاج ٢١٤/٥.

(٢) الكشف ١٥٠/٤.

(٣) النكت والعيون ٧٨/٦. والقول الآتي نسبة لابن كامل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢١٤/٥.

(٥) النكت والعيون ٧٨/٦.

فيها. ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا؛ لأنها إذا بليت خلت أجوافها. فشبهوا بعد أن هلكوا بالنخل الخاوية.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٨)

أي: من فرقة باقية أو نفس باقية. وقيل: من بقية. وقيل: من بقاء. فاعلة بمعنى المصدر؛ نحو العاقبة والعافية. ويجوز أن يكون اسماً، أي: هل تجد لهم أحداً باقياً؟ وقال ابن جريج: كانوا سبع ليالٍ وثمانية أيام أحياء في عذاب الله من الريح، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾، وقوله عز وجل: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ﴾ (٩)

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: «وَمَنْ قَبْلَهُ» بكسر القاف وفتح الباء^(١)؛ أي: ومن معه وتبعه من جنوده. واختاره أبو عبيد^(٢) وأبو حاتم اعتباراً بقراءة عبد الله وأبي: «وَمَنْ مَعَهُ»^(٣). وقرأ أبو موسى الأشعري: «وَمَنْ تَلْقَاءَهُ»^(٤). الباقر: «قَبْلَهُ» بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومن تقدّمه من القرون الخالية والأمم الماضية.

﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ أي: أهل قرى لوط^(٥). وقراءة العامة بالألف. وقرأ الحسن والجحدري: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ» على التوحيد^(٦). قال قتادة: إنما سُمّيت قرى قوم لوط

(١) السبعة ص ٦٤٨ ، والتيسير ص ٢١٣ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٠/٥ .

(٣) الكشف ٤/١٥٠ . ونسبها في القراءات الشاذة ص ١٦١ لأبي موسى وأبي .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٦١ ، ونسبها أيضاً لأبي .

(٥) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/٢١٦ - ٢١٧ عن قتادة وابن زيد .

(٦) قراءة الحسن في المحرر الوجيز ٥/٢٥٨ .

«مؤتفكات»؛ لأنها اتتفكت بهم، أي: انقلبت^(١). وذكر الطبري^(٢) عن محمد بن كعب القرظي قال: خمس قريات: صبعة^(٣)، وصعرة^(٤)، وعمرة، ودوما، وسدوم؛ وهي القرية العظمى.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعللة الخاطئة، وهي المعصية والكفر. وقال مجاهد: بالخطايا التي كانوا يفعلونها^(٥). وقال الجرجاني: أي: بالخطأ العظيم، فالخاطئة مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَمَعَّصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَعَّصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ قال الكلبي: هو موسى. وقيل: هو لوط^(٦)؛ لأنه أقرب. وقيل: عنى موسى ولوطاً عليهما السلام^(٧)؛ كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. وقيل: «رسول» بمعنى رسالة. وقد يعبر عن الرسالة بالرسول؛ قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحث عندهم بِسِرٍّ ولا أرسلتْهم برسول^(٨)
﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ أي: عالية زائدة على الأخذات وعلى عذاب الأمم. ومنه الرِّبَا: إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى. يقال: ربا الشيء يربو، أي: زاد وتضاعف. وقال مجاهد: شديدة^(٩). كأنه أراد: زائدة في الشدة.

(١) ذكر قوله بنحوه الطبرسي في مجمع البيان ٤٠/٢٩ .

(٢) في تاريخه ٣٠٦/١-٣٠٧، ونقله عنه المصنف بواسطة التعريف والإعلام للسهيبي ص ١٧٥ .

(٣) في النسخ الخطية: صنعاء. والمثبت من (م).

(٤) في (خ): صعرة، وفي (د) و(ز) و(ظ) و(ق): صعدة، والمثبت من (م)، وسلف الكلام عليها ١٨٥/١١ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/٢١٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/٣٥٨ .

(٧) الوسيط للواحد ٤/٣٤٤، وتفسير البغوي ٤/٣٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٦/٧٩. والبيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص ٢٧٨، والشطر الثاني فيه:

بليلى ولا أرسلتْهم برسيل

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/٢١٨ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَّعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: ارتفع وعلا. وقال عليّ ؑ: طغى على خُرَّانه من الملائكة غضباً لرَبِّه، فلم يقدرُوا على حبسه. قال قتادة: زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعاً^(١). وقال ابن عباس: طغى الماء زمن نوح على خُرَّانه فكثرت عليهم، فلم يَدْرُوا كم خرج. وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا بكيل معلوم، غير ذلك اليوم. وقد مضى هذا مرفوعاً أوّل السورة.

والمقصود من قصص هذه الأمم وذِكْرِ ما حلَّ بهم من العذاب زَجْرُ هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول. ثم مَنْ عليهم بأن جعلهم ذُرِّيَّةً مَنْ نجا من الغرق بقوله: «حَمَلْنَاكُمْ». أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم.

﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: في السفن الجارية. والمحمولُ في الجارية نوحٌ وأولاده، وكلُّ مَنْ على وجه الأرض من نسل أولئك.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يعني سفينة نوح عليه الصلاة والسلام. جعلها الله تذكرةً وِعِظَةً لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم؛ في قول قتادة. قال ابن جريج: كانت ألواحها على الجُودي^(٢). والمعنى: أبقىْتُ لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حلَّ بقوم نوح، وإنجاء الله آباءكم؛ وكم من سفينة هلكت وصارت تراباً ولم يبق منها شيء. وقيل: لِنَجْعَلَ تلك الفعلة من إغراق قوم نوح وإنجاء مَنْ آمن معه موعظةً لكم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾ أي: تحفظها وتسمعها أذُنٌ حافظةٌ لما جاء من عند الله. والسفينة لا توصف بهذا.

قال الزجاج: ويقال: وَعَيْتُ كذا، أي: حَفِظْتُهُ في نفسي، أَعْيِه وُعْيَا، ووُعَيْتُ

(١) النكت والعيون ٧٩/٦. وأخرج الطبري القولين ٢٣/٢١٠ - ٢١١، ٢١٩.

(٢) النكت والعيون ٨٠/٦. وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/٢٢١.

العلم، ووعيتُ ما قلت؛ كلُّهُ بمعنَى . وأوعيتُ المتاعَ في الوعاء. قال الزجاج^(١):
يقال لكل ما حَفِظْتَه في غير نفسك: «أوعيتُهُ» بالألف، ولَمَّا حَفِظْتَه في نفسك:
«وعيتُهُ» بغير ألف.

وقرأ طلحة وحُميد والأعرج: «وتَعَيَّهَا» بإسكان العين^(٢)؛ تشبيهاً بقوله:
«أرْزَنَا»^(٣). واختلف فيها عن عاصم وابن كثير. الباقون بكسر العين^(٤).

ونظيرُ قوله تعالى: «وتَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قوله تعالى^(٥): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. وقال قتادة: الأذن الواعية أُذُنٌ عَقَلَتْ عن الله تعالى، وانتفعت
بما سمعت من كتاب الله عزَّ وجلَّ^(٦).

وروى مكحولٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت رَبِّي أن يجعلها أُذُنٌ
عليّ». قال مكحول: فكان عليٌّ ﷺ يقول: ما سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ
فنسيتُهُ، إِلَّا وحفظته. ذكره الماوردي^(٧). وعن الحسن نحوه، ذكره الثعلبي قال: لَمَّا
نزلت «وتَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»، قال النبيُّ ﷺ: «سألت رَبِّي أن يجعلها أُذُنُكَ يا عليٌّ» قال
عليٌّ: فوالله ما نسيتُ شيئاً بعدُ، وما كان لي أن أنسى.

وقال بُريدة^(٨) الأَسْلَمِيّ: قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «يا عليٌّ، إِنَّ الله أمرني أن أُذْنِيكَ
ولا أَقْصِيكَ، وأن أعلِّمَكَ، وأن تعيَّ، وحقُّ على الله أن تعيَّ»^(٩).

(١) في معاني القرآن ٥/٢١٥ - ٢١٦.

(٢) قراءة طلحة في إعراب القرآن للنحاس ٥/٢١.

(٣) سلفت هذه القراءة ٢/٣٩٨.

(٤) روى الحلواني عن ابن كثير وأبو ربيعة عن قنبل: «وتَعَيَّهَا» بإسكان العين. السبعة ص ٦٤٨. وقال في
التيسير ص ٢١٣: وجاء عن ابن كثير وعاصم وحمزة في ذلك ما لا يصح.

(٥) عبارة: قوله تعالى من (ظ).

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/٢٢٣.

(٧) في النكت والعيون ٦/٨٠. وأخرجه الطبري ٢٣/٢٢٢ - ٢٢٣، وهو مرسل.

(٨) في (د) و(ظ): أبو بردة، وفي باقي النسخ: أبو برزة، وكلاهما خطأ.

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/٢٢٣، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٦٩ - ٣٣٧٠ (١٨٩٦٢)، والواحدي في أسباب
النزول ص ٤٧٣. وأورده ابن كثير في تفسيره ٨/٢١١ وقال: لا يصح.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾

قال ابن عباس: هي النفخة الأولى لقيام الساعة^(١)، فلم يبقَ أحدٌ إلا مات. وجاز تذكيرُ «نُفِخَ» لأن تأنيث النفخة غير حقيقي. وقيل: إنَّ هذه النفخة هي الأخيرة^(٢). وقال: «نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» أي: لا تُثنى.

قال الأخفش: ووقع الفعل على النفخة إذ لم يكن قبلها اسمٌ مرفوع، فقيل: نفخة. ويجوز «نفخة» نصباً على المصدر. وبها قرأ أبو السَّمَّال^(٣). أو يقال: اقتصر على الإخبار عن الفعل، كما تقول: ضُرب ضرباً. وقال الزجاج^(٤): «في الصُّورِ» يقوم مقام ما لم يُسمَّ فاعله.

قوله تعالى: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ قراءة العامة بتخفيف الميم، أي: رُفعت من أماكنها.

﴿فَدُكَّتَا﴾ أي: فُتتَا وكُسرتَا. ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ لا يجوز في «دَكَّة» إلا النصب، لارتفاع الضمير في «دُكَّتَا». وقال الفراء^(٥): لم يقل: فدُكَّتُن؛ لأنه جعلَ الجبالَ كلها كالجملة الواحدة، والأرضُ كالجملة الواحدة^(٦). ومثله: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ولم يقل: كُنَّ. وهذا الدُّكُّ كالزلزلة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. وقيل: «دُكَّتَا» أي: بُسِطَتَا بسطةً واحدة، ومنه: اندكَّ سنام

(١) نسبة لابن عباس الزمخشري في الكشاف ١٥١/٤، ونسبه الواحدي في الوسيط ٣٤٥/٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٨/٨ لعطاء.

(٢) هو قول الكلبي ومقاتل كما في الوسيط ٣٤٥/٤، وزاد المسير ٣٤٨/٨.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦١.

(٤) في معاني القرآن ٢١٦/٥.

(٥) في معاني القرآن ١٨١/٣.

(٦) قوله: والأرض كالجملة الواحدة، ليس من كلام الفراء، وغير موجود في (ظ).

البعير: إذا انفرش في ظهره. وقد مضى في سورة الأعراف القول فيه (١).

وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ» بالتشديد على إسناد الفعل إلى المفعول الثاني. كأنه في الأصل: وَحُمِلْتُ قُدْرَتَنَا أَوْ مَلَكًا مِنْ مَلَائِكَتِنَا الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ؛ ثم أُسْنِدَ الفعل إلى المفعول الثاني فَبُنِيَ له. وَلَوْ جِيءَ بالمفعول الأول لِأَسْنَدِ الفعل إليه؛ فَكَانَ قَالَ: وَحُمِلْتُ قُدْرَتَنَا الْأَرْضَ. وقد يجوز بناؤه للثاني على وجه القلب، فيقال: حُمِلَتِ الْأَرْضُ الْمَلَكُ؛ كقولك: أُلْبِسَ زَيْدٌ الْجُبَّةَ، وَأُلْبِسَتِ الْجُبَّةُ زَيْدًا (٢).

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِذٍ ثَمَنِيَةً ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انصدعت وتفتطرت. وقيل: تنشق لنزول ما فيها من الملائكة؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقد تقدّم (٣).

﴿فِي يَوْمِذٍ وَاهِيَةً﴾ أي: ضعيفة. يقال: وهى البناء يهيه وهياً فهو واؤه؛ إذا ضُغِفَ جداً. ويقال: كلامٌ واؤه، أي: ضعيف. فقيل: إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي، ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا. وقيل: لهول يوم القيامة. وقيل: «واهيئة» أي: متخرقة؛ قاله ابن شجرة. مأخوذ من قولهم: وهى السقاء: إذا تخرق. ومن أمثالهم:

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ وَمَنْ هُرَيْقٌ بِالْفَلَاةِ مَاؤُهُ
أي: مَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ لَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ (٤).

(١) ٣٢٤/٩ - ٣٢٥.

(٢) المحتسب ٣٢٨/٢ بنحوه.

(٣) ٣٩٩/١٥.

(٤) النكت والعيون ٨١/٦، وكلام ابن شجرة فيه. والرجز في الصحاح (وهى)، وجمهرة الأمثال ٤١٤/١، والمستقصى في أمثال العرب ٧٦/٢.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعني الملائكة؛ اسمٌ للجنس. ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ أي: على أطرافها حين تنشق؛ لأن السماء مكانهم؛ عن ابن عباس. الماوردي^(١): ولعله قولٌ مجاهدٍ وقتادة. وحكاه الثعلبيُّ عن الضحَّاك، قال: على أطرافها ممَّا لم ينشقَّ منها^(٢). يريد أنَّ السماء مكانُ الملائكة، فإذا انشَقَّت صاروا في أطرافها.

وقال سعيد بن جبَّير: المعنى: والمَلَكُ على حافات الدنيا، أي: ينزلون إلى الأرض ويحرُسون أطرافها. وقيل: إذا صارت السماء قِطْعًا؛ تقف الملائكةُ على تلك القطع التي ليست مُتَشَقِّقَةً في أنفسها. وقيل: إنَّ الناس إذا رأوا جهنم هالتهم؛ فيندُّوا كما تَندُّ الإبل، فلا يأتون قُطْرًا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا.

وقيل: «على أَرْجَائِهَا» ينتظرون ما يؤمرون به في أهل النارِ من السُّوق إليها، وفي أهل الجنة من التَّحِيَّةِ والكرامة.

وهذا كلُّه راجعٌ إلى معنى قولِ ابنِ جبَّير. ويَدُلُّ عليه: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿يَنْعَمَرُ الْمَلِكُ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٣٣] على ما بيَّناه هناك.

والأرجاء: النواحي والأقطار؛ بلغة هذيل، واحدها: رَجَاءٌ، مقصور، وتثنيته: رَجَوَانٌ؛ مثل عَصَاً وَعَصَوَان. قال الشاعر:

فلا يُرْمَى بِسِي الرَّجَوَانِ إِنْ نِي
أَقْلُ الْقَوْمِ مَنْ يُغْنِي مَكَانِي^(٣)

ويقال ذلك لحرف البئر والقبر.

(١) في النكت والعيون ٨١/٦.

(٢) أخرج أقوالهم الطبري ٢٣/٢٢٦، دون قوله: لأن السماء مكانهم.

(٣) أدب الكاتب ص ٢٥٧، ومجمع الأمثال ١/٢١٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/١٤٧، واللسان (رجو) دون نسبة. وفي الاقتضاب للبطلوسي ص ٣٦٦ أنه لعبد الرحمن بن الحكم من شعر يقوله في أخيه مروان.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ قال ابن عباس: ثمانية صفوفٍ من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله. وقال ابن زيد: هم ثمانية أملاك^(١). وعن الحسن: الله أعلم كم هم، ثمانية أم ثمانية آلاف^(٢). وعن النبي ﷺ «أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَيَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَرْبَعَةِ آخَرِينَ، فَكَانُوا ثَمَانِيَةً». ذكره الثعلبي^(٣). وَخَرَّجَهُ الْمَاورِدِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، وَهَمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةً»^(٤).

وقال العباس بن عبد المطلب^(٥): هم ثمانية أملاكٍ على صورة الأوعال^(٦). ورواه عن النبي ﷺ^(٧). وفي الحديث: «إِنَّ لِكُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ أَوْجِهٍ: وَجْهَ رِجْلِ، وَجْهَ أَسَدٍ، وَجْهَ ثُورٍ، وَوَجْهَ نَسْرٍ. وَكُلُّ وَجْهٍ مِنْهَا يَسْأَلُ اللَّهَ الرَّزْقَ لِذَلِكَ الْجِنْسِ»^(٨). ولما أنشد بين يدي النبي ﷺ قول أمية بن أبي الصلت:

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ
وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ يَصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

(١) أخرجهما الطبري ٢٢٨/٢٣ - ٢٢٩.

(٢) الكشف ١٥٢/٤.

(٣) وأخرجه الطبري ٢٢٩/٢٣ عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ... ثم ذكره؛ وهو مرسل.

(٤) النكت والعيون ٨٢/٦ دون سند.

(٥) في النسخ: عبد الملك، وهو خطأ.

(٦) خبر ضعيف أخرجه أبو يعلى (٦٧١٢)، والحاكم ٥٠٠/٢ من طريق شريك بن عبد الله، عن سماك

ابن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس ﷺ. وشريك صدوق يخطئ

كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وسماك تغير بأخرة، كما في تقريب التهذيب. وعبد الله

ابن عميرة مجهول، وقال فيه البخاري في التاريخ الكبير ١٥٩/٥: لا نعلم له سماعاً من الأحنف.

(٧) سيذكره المصنف قريباً، وهو ضعيف.

(٨) لم نقف عليه مرفوعاً. وأخرجه عبد الرزاق ٣١٤/٢ عن وهب بن منبه والبيهقي في الأسماء والصفات

٢٩٥/٢ عن أبي مالك مطولاً. وليس فيهما: وكل وجه منها يسأل ... إلخ. قال أبو حيان في البحر

٣٢٤/٨: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة؛ ضربنا عن ذكرها صفحاً.

ليست بطالعة لهم في رسلها^(١) إِلَّا مُعَذَّبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ
قال النبي ﷺ: «صَدَقَ»^(٢).

وفي الخبر: «أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثَمَانِيَةَ أَوْعَالٍ، بَيْنَ أَظْلَافِهِنَّ وَرُكْبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، وَفَوْقَ ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ». ذكره القشيري، وخرجه الترمذي^(٣) من حديث العباس بن عبد المطلب. وقد مضى في سورة البقرة بكمال^(٤). وذكر نحوه الثعلبي ولفظه.

وفي حديث مرفوع: «أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةُ أَمْلاَكٍ عَلَى صُورَةِ الْأَوْعَالِ، مَا بَيْنَ أَظْلَافِهَا إِلَى رُكْبِهَا مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلطَّائِرِ الْمَسْرَعِ».

وفي تفسير الكلبي: ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة. وعنه: ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء من الملائكة. ثم ذكر عدّة الملائكة بما يطول ذكره. حكى الأوّل عنه الثعلبي والثاني القشيري. وقال الماوردي عن ابن عباس: ثمانية أجزاء من تسعة، وهم الكروبيون^(٥). والمعنى ينزل بالعرش^(٦).

ثم إضافة العرش إلى الله تعالى كإضافة البيت، وليس البيت للسكنى، فكذلك العرش. ومعنى: «فَوْقَهُمْ»، أي: فوق رؤوسهم^(٧). قال السدي: العرش تحمله

(١) في المصادر: تأبى فلا تبدو لنا في رسلها. والرسل: التّودة.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف، فيه محمد بن إسحاق، ولم يصرح بالتحديث. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: ولو ثبت تصريح ابن إسحاق؛ فلا يعتد به في مثل هذا المطلب. اهـ. والآيات في الديوان ص ٥٠.

(٣) برقم (٣٣٢٠) وهو ضعيف، إسناده بنحو إسناده حديث العباس السالف عنه موقوفاً.

(٤) ٣٨٨/١ - ٣٨٩. وليس فيه ذكر لحملة العرش.

(٥) النكت والعيون ٨٢/٦. وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٦٥ - ٦٦ بنحوه. والكروبيون: الملائكة المقربون. النهاية (كرب).

(٦) ينظر ما سلف ٣٩٩/١٥ - ٤٠٠.

(٧) أي: رؤوس الحملة كما في النكت والعيون ٨٢/٦، والوسيط للواحد ٣٤٥/٤، وتفسير البغوي ٦٨٧/٤، وزاد المسير ٣٥٠/٨، ونسبه لمقاتل.

الملائكة الحاملة فوقهم، ولا يحمل حاملة العرش إلا الله. وقيل: «فوقهم» أي: إن حملة العرش فوق الملائكة الذين في السماء على أرجائها. وقيل: «فوقهم» أي: فوق أهل القيامة^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي: على الله؛ دليله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، وليس ذلك عرضاً يعلم به ما لم يكن عالماً به، بل معناه الحساب وتقدير الأعمال عليهم للمجازاة. وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرَضَاتَانِ، فَجَدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَأَخِذْ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ». خرجه الترمذي وقال: ولا يصح من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة^(٢).

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: هو عالم بكل شيء من أعمالكم. ف«خافية» على هذا بمعنى خفية، كانوا يخفونها من أعمالهم؛ قاله ابن شجرة^(٣). وقيل: لا يخفى عليه إنسان، أي: لا يبقى إنسان لا يحاسب. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر. وقيل: لا تستر منكم عورة؛ كما قال النبي ﷺ: «يُخَشِّرُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ»^(٤).

وقرأ الكوفيون إلا عاصمًا: «لَا يَخْفَىٰ» بالياء؛ لأن تأنيث الخافية غير حقيقي؛

(١) النكت والعيون ٨٢/٦.

(٢) سنن الترمذي (٢٤٢٥). وقال أيضاً: وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى. اهـ. وهذه الرواية التي أشار إليها عند أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧).

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٩٥ زيادات نعيم) موقوفاً على أبي موسى ﷺ. قال الدارقطني في العلل ٢٥١/٧: والموقوف هو الصحيح.

(٣) النكت والعيون ٨٢/٦.

(٤) النكت والعيون ٨٢/٦، وفيه كلام ابن عمرو رضي الله عنهما. وسلف الحديث ١٢/٤ - ١٣.

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧] واختاره أبو عبيد؛ لأنه قد حال بين الفعل وبين الاسم المؤنث الجار والمجرور. الباقون بالتاء^(١). واختاره أبو حاتم لتأنيث الخافية.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مِثْلِي لَوْلَا إِني نَسِيتُ أَنِي مَلَكٌ حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٌ ﴿٢٦﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٧﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِيَةِ ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبَتَنِي لِمَ أُوْتِ كِتَابِيَّةٌ ﴿٣٥﴾ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٣٦﴾ يَلْبَتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٣٧﴾ مَا أُغْنِي عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٣٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٣٩﴾ خَذُوهُ فَنَقْلُوهُ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ لَنَحْمِ صَلْوَهُ ﴿٤١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٤٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٤٣﴾ وَلَا يَحْضُرُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ يَمِينَهُ﴾ إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة^(٢). وقال ابن عباس: أَوْلَ مَنْ يُعْطَىٰ كِتَابَهُ يَمِينَهُ من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات!! زَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ. ذكره الثعلبي. وقد ذكرناه مرفوعاً من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب «التذكرة». والحمد لله^(٣).

﴿فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مِثْلِي لَوْلَا إِني نَسِيتُ﴾ أي: يقول ذلك ثقةً بالإسلام وسروراً بنجاته؛ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشُّمال من دلائل الغم. قال الشاعر:

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٣. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٥.

(٢) النكت والعيون ٨٣/٦.

(٣) لم نقف عليه في التذكرة، وأخرجه ابن عساکر في تاريخه ١٥٤/٣٠ من طريق عاصم الأحول، عن زيد ابن ثابت ؓ مرفوعاً. ولم يُذكر لعاصم الأحول رواية عن زيد.

ثم إن في إسناده إسحاق بن إبراهيم بن سُنين الحُتلي، وهو ضعيف، وعمر بن إبراهيم بن خالد الكردي؛ قال الدارقطني: كذاب. الميزان ١/١٨٠، و٣/١٧٩-١٨٠. وفيه أيضاً: مرحوم بن أرطان، ولم نعرفه.

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحَ أُمَ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ^(١)
 ومعنى «هاؤم»: تعالوا؛ قاله ابن زيد^(٢). وقال مقاتل: هَلُمَّ. وقيل: أي: خذوا؛
 ومنه الخبر في الرِّبَا: «إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ»^(٣) أي: يقول كلُّ واحدٍ لصاحبه: خذ. قال ابن
 السُّكَيْتِ والكِسَائِي: العرب تقول: هاء يا رجلُ اقرأ، وللاثنين: هاؤما يا رجلان،
 وهاؤم يا رجال، وللمرأة هاء - بكسر الهمزة - وهاؤما وهاؤن^(٤). والأصل: هاكم،
 فأبدلت الهمزة من الكاف؛ قاله القُتَيْبِيُّ^(٥).

وقيل: إنَّ «هاؤم» كلمةٌ وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح. روي أنَّ
 رسول الله ﷺ ناده أعرابيٌّ بصوت عالٍ، فأجابه النبيُّ ﷺ: «هاؤم»؛ يطوّل صوته^(٦).

«وَكِتَابِيَّةٌ» منصوب بـ «هاؤم» عند الكوفيين. وعند البصريين بـ «اقرؤوا»؛ لأنه
 أقربُ العامِلَيْنِ^(٧). والأصل: «كتابي»، فأدخلت الهاءَ لِتَبَيِّنَ فَتَحَةَ الْيَاءِ، وكانت الهاءُ
 للوقف، وكذلك في أخواته: «حِسَابِيَّةٌ» و«ماليه» و«سلطانيه» وفي القارعة: «ماهي».

وقراءة العامة بالهاء في ههنا في الوقف والوصل معاً؛ لأنهنَّ وقعن في المصحف
 بالهاء، فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يُتعمدَ الوقفُ عليها ليوافقَ اللغةَ في إلحاق الهاءِ
 فِي السَّكْتِ وَيُوافِقُ الحَظَّ. وقرأ ابنُ مُحَيِّصِنٍ ومجاهدٌ وحميدٌ ويعقوبٌ بحذف الهاءِ في

(١) النكت والعيون ٨٣/٦. والبيت لعبد الله بن دُمَيْنَةَ، وهو في دلائل الإعجاز ص ٩٠، ودرة الغواص
 ص ٦٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٣١.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢)، والبخاري (٢١٣٤)، ومسلم (١٥٨٦) من حديث عمر ؓ.

(٤) في (م): هاؤم. وكلام ابن السكيت في الوسيط ٤/٣٤٦، وكلام الكسائي في النكت والعيون
 ٨٣/٦. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/٢١٧.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤.

(٦) النكت والعيون ٨٣/٦. والحديث أخرجه أحمد (١٨٠٩٥)، والترمذي (٣٥٣٥)، والنسائي في
 الكبرى (١١١١٤) من حديث صفوان بن عسال ؓ، ولفظه: هاء، بدل: هاؤم.

(٧) الكشاف ٤/١٥٢.

الوصل وإثباتها في الوقف فيهنَّ أجمع^(١). ووافقهم حمزة في «ماليه» و«سلطانيه»، و«ماهيه» في القارعة^(٢). وجملة هذه الحروف سبعة. واختار أبو حاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعاً للغة^(٣). ومن قرأهنَّ في الوصل بالهاء فهو على نيّة الوقف.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ أي: أيقنت وعلمت، عن ابن عباس وغيره^(٤). وقيل: أي: إني ظننت إن يؤخذني الله بسيئاتي عذبني، فقد تفضل عليّ بعفوه ولم يؤخذني بها. قال الضحّاك: كلُّ ظنٍّ في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك. وقال مجاهد: ظنُّ الآخرة يقين، وظنُّ الدنيا شك. وقال الحسن في هذه الآية: إنَّ المؤمن أحسنَ الظنِّ بربه فأحسن العمل، وإنَّ المنافق أساء الظنَّ بربه فأساء العمل^(٥). ﴿أَنْفٍ مُّلتِي حِسَابِيَّةٍ﴾ أي: في الآخرة ولم أنكر البعث؛ يعني أنه ما نجا إلا بخوفه من يوم الحساب، لأنه تيقن أن الله يحاسبه، فععمل للآخرة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في عيشٍ يرضاه لا مكروه فيه. وقال أبو عبيدة والفراء^(٦): «راضية» أي: مرضية؛ كقولك: ماءٌ دافق، أي: مدفوق. وقيل: ذات رضاء، أي: يرضى بها صاحبها^(٧). مثل: لابن وتامر؛ أي: صاحب اللبن والتمر.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «أنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً، ويتعمون فلا يبرون بؤساً أبداً، ويثيبون فلا يهرمون أبداً»^(٨).

(١) قراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٣٦٠/٥، وقراءة يعقوب في النشر ١٤٢/٢، وهو من العشرة.

(٢) التيسير ص ٢١٤، ٢٢٥.

(٣) كلام أبي حاتم في المحرر الوجيز ٣٦٠/٥.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣٢/٢٣ - ٢٣٣.

(٥) النكت والعيون ٨٣/٦.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٦٨/٢، ومعاني القرآن للفراء ١٨٢/٣.

(٧) ذكر هذا المعنى النحاس في إعراب القرآن ٢٢/٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٦٠/٥.

(٨) النكت والعيون ٨٣/٦ - ٨٤، وأخرجه بنحوه أحمد (٨٢٥٨)، ومسلم (٣٨٣٧) من حديث أبي سعيد

الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي: عظيمة في النفوس^(١). ﴿ قُطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴾ أي: قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع، على ما يأتي بيانه في سورة الإنسان^(٢). والقُطُوف جمع قِطْف، بكسر القاف، وهو ما يُقطف من الثمار. والقِطْف، بالفتح: المصدر. والقِطَاف - بالفتح والكسر - وقت القطف.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ أي: يقال لهم ذلك. ﴿ هَنِيئًا ﴾ لا تكدير فيه ولا تنغيص. ﴿ يَمَّا اسَلَفْتُمْ ﴾: قدّمتم من الأعمال الصالحة. ﴿ فِي الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ ﴾ أي: في الدنيا. وقال: «كُلُوا» بعد قوله: «فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ»؛ لقوله: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ»، و«مَنْ» يتضمن معنى الجمع.

وذكر الضحّاك أنّ هذه الآية نزلت في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي؛ وقاله مقاتل^(٣). والآية التي تليها في أخيه الأسود بن عبد الأسد؛ في قول ابن عباس والضحاك أيضًا^(٤)؛ قاله الثعلبي. ويكون هذا الرجل وأخوه سبب نزول هذه الآيات. ويعمّ المعنى جميع أهل الشقاوة وأهل السعادة؛ يدلّ عليه قوله تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا».

وقد قيل: إنّ المراد بذلك كلُّ مَنْ كان متبوعًا في الخير والشر. فإذا كان الرجل رأسًا في الخير؛ يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبّعه عليه، دُعي باسمه واسم أبيه فيتقدّم، حتى إذا دنا؛ أخرج له كتابٌ أبيضٌ بخطّ أبيض، في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات؛ فيبدأ بالسيئات فيقرؤها، فيُشفق ويصفرُّ وجهه ويتغيّر لونه؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد غفرت لك»، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يُقلّب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحًا؛ حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه:

(١) المصدر السابق.

(٢) ص ٤٧٢ من هذا الجزء.

(٣) كلام الضحاك في النكت والعيون ٦/٨٣، وكلام مقاتل في زاد المسير ٨/٣٥٢.

(٤) نسبة لابن عباس أبو الليث في تفسيره ٣/٣٩٩، وللضحاك الماوردي في النكت والعيون ٦/٨٥.

«هذه حسناتك قد ضوعفت لك»، فيبيضُ وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويكسى حُلَّتَيْن، ويحلّى كلُّ مَفْصِلٍ منه، ويطول سِتِّين ذراعاً، وهي قامة آدم عليه السلام؛ ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشرهم أنّ لكل إنسانٍ منهم مثل هذا. فإذا أدير قال: «هَأْوُمُ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ». قال الله تعالى: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أي: مرضيةً قد رضيها. «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ فِي السَّمَاءِ. قُطُوفُهَا»: ثمارها وعناقيدها. «دَانِيَةٍ»: أدنى منكم. قال: فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامةُ الله، مَنْ أنت؟ فيقول: أنا فلان بنُ فلان، أبشّر كلَّ رجلٍ منكم بمثل هذا. «كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» أي: قدّمتم في أيام الدنيا. وإذا كان الرجل رأساً في الشّرِّ، يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه، نودي باسمه واسم أبيه، فيتقدّم إلى حسابه، فيُخَرِّج له كتابٌ أسودٌ بخطّ أسود، في باطنه الحسناتُ وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظنُّ أنه سينجو، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه حسناتك وقد رُدَّت عليك» فيسودُّ وجهه ويعلوه الحزنُ ويَقْنَطُ من الخير، ثم يَقْلِبُ كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك. أي: يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل. قال: فيعظم للنار وتزرقُ عيناه ويسودُّ وجهه، ويكسى سراويلَ القَطْران ويقال له: انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أنّ لكل إنسانٍ منهم مثل هذا؛ فينطلق وهو يقول: «يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ» يتمنى الموت.

«هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» تفسيرُ ابنِ عباس: هلكتُ عني حُجَّتِي. وهو قول مجاهدٍ وعكرمة والسُدِّي والضحاك. وقال ابن زيد: يعني: «سلطانيه» في الدنيا الذي هو المُلك^(١). وكان هذا الرجلُ مطاعاً في أصحابه.

قال الله تعالى: ﴿حُدُوهُ فَجُودُهُ﴾ قيل: يبتدره مئة^(٢) ألفِ ملك، ثم تُجمع يده إلى

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٣٦/٢٣ - ٢٣٧ عدا قول السدي، وهو في النكت والعيون ٨٥/٦.

(٢) لفظة: مئة، ليست في (ظ).

عنه، وهو قوله عز وجل: «فَعْلُوهُ» أي: شدوه بالأغلال ﴿ثُمَّ لَئِيمٌ صَلْوُهُ﴾ أي: اجعلوه يضلّى الجحيم.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ الله أعلم بأيّ ذراع، قاله الحسن^(١). وقال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع المَلَك. وقال نَوْف: كلُّ ذراع سبعون باعًا، وكلُّ باع أبعْد ما بينك وبين مكة. وكان في رحبة الكوفة^(٢). وقال مقاتل: لو أنّ حَلَقَةً منها وُضعت على ذُرْوَةِ جبل، لذاب كما يذوب الرّصاص^(٣). وقال كعب: إنّ حَلَقَةً من السلسلة التي قال الله تعالى فيها: ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا؛ إنّ حَلَقَةً منها مِثْلُ جميع حديد الدنيا^(٤).

﴿فَأَسْأَلُكُمْ﴾ قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دُبُرِهِ حتى تخرج من فيه^(٥). وقاله مقاتل. والمعنى: ثم اسلكوا فيه سِلْسِلَةً. وقيل: تُدخِلُ عنقه فيها ثم يُجرُّ بها. وجاء في الخبر: أنها تدخل من دُبُرِهِ وتخرج من مَنخَرِهِ^(٦). وفي خبرٍ آخر: تدخل من فيه وتخرج من دبره، فينادي أصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي، فمن أنت؟ فينادي أصحابه: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثلُ هذا.

قلت: وهذا التفسير أصح ما قيل في هذه الآية، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْبِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. وفي الباب حديثُ أبي هريرة بمعناه، خرَّجه الترمذي^(٧). وقد ذكرناه في سورة سبحان؛ فتأمّله هناك^(٨).

(١) الوسيط للواحدى ٣٤٧/٤، وتفسير البغوي ٣٨٩، والمححر الوجيز ٣٦١/٥.

(٢) أخرجهما الطبري ٢٣٧/٢٣ - ٢٣٨.

(٣) نسبه في المححر الوجيز ٣٦١/٥ لابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٨٩ زوائد نعيم).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣١٥/٢.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣٨/٢٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في سننه (٣١٣٦).

(٨) ١٢٩/١٣.

﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ لَا تُوَظِنُونَ بِاللَّهِ الْغَظِيبِ . وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: على الإطعام، كما يوضع العطاء موضع الإعطاء. قال الشاعر^(١):

أَكْفُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِئَةَ الرَّتَاعَا

أراد: بعد إعطائك. فبيّن أنه عُذِبَ على ترك الإطعام، وعلى الأمر بالبخل، كما عُذِبَ بسبب الكفر. والحَضُّ: التحريض والحثّ. وأصل «طعام» أن يكون منصوباً بالمصدر المقدّر^(٢). والطعام عبارة عن العين، وأضيف للمسكين؛ للملابسة التي بينهما. ومن أعمل الطعام كما يُعملُ الإطعام، فموضع «المسكين» نصب. والتقدير: على إطعام المطعم المسكين؛ فحذف الفاعل، وأضيف المصدر إلى المفعول.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ خبر «ليس» قوله: «له»، ولا يكون الخبر قوله: «ها هنا» لأن المعنى يصير: ليس ها هنا طعاماً إلا من غسّلين، ولا يصح ذلك؛ لأن ثمّ طعاماً غيره. و«ها هنا» متعلّق بما في «له» من معنى الفعل. والحميم ها هنا القريب. أي: ليس له قريب يرقّ له ويدفع عنه. وهو مأخوذ من الحميم، وهو الماء الحارّ؛ كأنه الصديق الذي يرقّ ويحترق قلبه له.

والغسّلين: فغّلين، من الغسّل؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم، وهو صديق أهل النار السائل من جروحهم وفروجهم؛ عن ابن عباس^(٣). وقال الضحاك والربيع بن أنس: هو شجر يأكله أهل النار^(٤). والغسّل - بالكسر -: ما يُغسل به الرأس من خيطمي وغيره. الأخفش: ومنه الغسّلين، وهو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم. وزيد

(١) هو القطامي . وقد سلف البيت ١٠٥/٥ .

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٦١/٥: المراد به: ولا يحضّ على إطعام طعام المسكين .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٤٠ .

(٤) المحرر الوجيز ٣٦١/٥ .

فيه اليباء والنون كما زيد في عَفْرَيْنَ^(١). وقال قتادة: هو شرُّ الطعام وأبشعُه. ابن زيد: لا يُعلم ما هو ولا الزَّقُوم^(٢). وقال في موضعٍ آخر: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦] يجوز أن يكون الصَّرِيحُ من الغَسَلين. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ والمعنى: فليس له اليوم ها هنا حميمٌ إِلَّا من غَسَلين؛ ويكون الماء الحارَّ. ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ أي: وليس لهم طعامٌ ينتفعون به.

﴿لَا يَأْكُلُهُمْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أي: المذنبون. وقال ابن عباس: يعني المشركين.

وقرئ: «الخاطيون» بإبدال الهمزة ياءً، و«الخاطون» بفتحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون! كلُّنا نخطو. وروى عنه أبو الأسود الدؤلي: ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون. ما الصابون! إنما هو الصابئون. ويجوز أن يراد: الذين يتخطؤون الحقَّ إلى الباطل، ويتعدون حدودَ الله عزَّ وجلَّ^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ المعنى: أقسم بالأشياء كلها، ما ترون منها وما لا ترون^(٤). و«لا» صلة. وقيل: هو ردُّ لكلام سبق، أي: ليس الأمر كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إنَّ محمدًا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن؛ فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ أي: أقسم^(٥).

(١) الصحاح (غسل). وعفْرَيْن: مأسدة، ودويبة ماواها التراب السهل في أصول الحيطان، أو دابة كالحرية يتعرض للراكب ويضرب بذنبه، والرجل الكامل الضابط القوي. القاموس (عفر).

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٤١، وكلام قتادة في المحرر الوجيز ٥/٣٦١.

(٣) الكشاف ٤/١٥٤. وقراءة «الخاطيون» نسبها ابن جني في المحتسب ٢/٣٢٩ للزهري والحسن وموسى ابن طلحة. وقراءة «الخاطون» نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١ لابن مسعود وابن عباس.

(٤) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/٢٤١ - ٢٤٢ عن ابن عباس وابن زيد.

(٥) النكت والعيون ٦/٨٥ - ٨٦. وعقبة هو ابن أبي مُعيط.

وقيل: «لا» هاهنا نفياً للقسَم^(١)، أي: لا يُحتاج في هذا إلى قسم؛ لوضوح الحقّ في ذلك، وعلى هذا فجوابه كجواب القسم.

﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يريد جبريل، قاله الحسن والكلبي ومقاتل^(٢). دليله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]. وقال الكلبي أيضاً والثقبّي: الرسول هنا محمد ﷺ؛ لقوله: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ». وليس القرآن قول الرسول ﷺ، إنما هو من قول الله عزّ وجلّ^(٣)؛ ونُسب القول إلى الرسول لأنه تاليه ومبلّغه والعاملُ به، كقولنا: هذا قولُ مالك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لأنه مبينٌ لصنوف الشعر كلّها. ﴿وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ﴾ لأنه ورد بسبّ الشياطين وشتيمهم؛ فلا يُنزلون شيئاً على من يسبهم^(٤).

«ما» زائدة في قوله: «قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ» و«قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ»؛ والمعنى: قليلاً تؤمنون، وقليلاً تذكرون^(٥). وذلك القليلُ من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا: من خلقهم قالوا: الله. ولا يجوز أن تكون «ما» مع الفعل مصدرًا وتَنْصِبَ «قَلِيلًا» بما بعد «ما»؛ لما فيه من تقديم الصلّة على الموصول؛ لأن ما عمل فيه المصدرُ من صلة المصدر^(٦).

وقرأ ابن مُحَيِّصَن وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «مَا يُؤْمِنُونَ»، و«يَذَكَّرُونَ»

(١) تفسير الرازي ١١٦/٣٠.

(٢) كلام الكلبي ومقاتل في النكت والعيون ٨٦/٦، وزاد المسير ٣٥٤/٨.

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ بنحوه.

(٤) تفسير الرازي ١١٧/٣٠ - ١١٨ بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢١٨/٥.

(٦) مشكل إعراب القرآن ٧٥٥/٢.

بالياء^(١). الباقون بالتاء؛ لأن الخطاب قبله وبعده^(٢). أما قبله فقوله: «تُبْصِرُونَ»، وأما بعده: «فَمَا مِنْكُمْ» الآية.

قوله تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿نَزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل من رب العالمين^(٣)، وهو عطف على قوله: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»، أي: إنه لقول رسول كريم، وهو تنزيل من رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ «تَقَوْلٌ» أي: تكلف وأتى بقول من قبل نفسه. وقرئ: «وَلَوْ تَقَوْلٌ» على البناء للمفعول^(٤).

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: بالقوة والقدرة^(٥)، أي: لأخذناه بالقوة. و«مِنْ» صلة زائدة. وعبر عن القوة والقدرة باليمين؛ لأن قوة كل شيء في يمينه، قاله القُتَيْبِيُّ^(٦). وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد. ومنه قول الشَّمَاخِ^(٧):

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

أي: بالقوة. عرابة: اسم رجل من الأنصار من الأوس، وقال آخر:

ولمَّا رأيتُ الشمسَ أشْرَقَ نُورُهَا تَنَاوَلْتُ مِنْهَا حَاجَتِي بِيَمِينِي^(٨)

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٤، والنشر ٢/٣٩٠. وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان بخلف عنه.

(٢) وقرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر بتشديد الذال، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/٢١٨.

(٤) الكشاف ٤/١٥٥، وهي قراءة شاذة.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/٣٩٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في تاويل مشكل القرآن ص ١١٧.

(٧) ديوانه ص ٣٣٦. وسلف ٦/٣٨.

(٨) لم نقف عليه.

وقال السُّدِّيُّ والحَكَمُ: «باليمين»: بالحق. قال:
تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

أي: بالاستحقاق .

وقال الحسن: لَقَطَعْنَا يَدَهُ الْيَمِينِ^(١). وقيل: المعنى: لَقَبَضْنَا يَمِينَهُ عَنِ التَّصَرُّفِ؛
قاله نبطويه.

وقال أبو جعفر الطبري^(٢): إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْإِذْذَالِ؛ عَلَى عَادَةِ
النَّاسِ فِي الْأَخْذِ بِيَدِ مَنْ يَعَاقِبُ. كَمَا يَقُولُ السُّلْطَانُ لِمَنْ يَرِيدُ هَوَانَهُ: خَذُوا بِيَدَيْهِ^(٣).
أي: لِأَمْرِنَا بِالْأَخْذِ بِيَدِهِ وَبِالْعُنَا فِي عِقَابِهِ.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ يعني: نَبَّاطُ الْقَلْبِ، أَي: لِأَهْلِكُنَاهُ. وَهُوَ عِرْقٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ
الْقَلْبُ؛ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ^(٤)؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ النَّاسِ^(٥). قَالَ:

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ^(٦)

وقال مجاهد^(٧): هُوَ حَبْلُ الْقَلْبِ الَّذِي فِي الظُّهْرِ، وَهُوَ النَّخَاعُ؛ فَإِذَا انْقَطَعَ بَطَلَتْ
القوى ومات صاحبه . والموتون: الَّذِي قُطِعَ وَتَيْتُهُ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ الْقَلْبُ
وَمَرَأَتُهُ وَمَا يَلِيهِ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنَّهُ عِرْقٌ بَيْنَ الْعِلْبَاءِ وَالْحَلْقُومِ^(٨). وَالْعِلْبَاءُ: عَصَبُ
العنق. وهما عِلْبَاوَانٌ، بَيْنَهُمَا يَنْبِتُ الْعِرْقُ^(٩). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: إِنَّ الْوَتِينَ إِذَا قُطِعَ؛ لَا إِنْ

(١) النكت والعيون ٨٦/٦ .

(٢) في تفسيره ٢٤٣/٢٣ . ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٨٧/٦ .

(٣) المثبت من (ظ) و(ق)، وفي غيرهما: يديه .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤٣/٢٣ - ٢٤٥ عن ابن عباس وغيره .

(٦) قائله الشماخ ، وهو في ديوانه ص ٣٢٣ . وروايته : وحططت رحلي . وهو خطاب لثاقته كما في
الخرزانة ٣٤٩/٤ . وعرابة : هو ممدوحه ، وقد سلف قريباً ذكره . وقوله : فاشرفي ، أي : فغصني .

(٧) أخرج قوله الطبري ٢٤٤/٢٣ .

(٨) النكت والعيون ٨٧/٦ .

(٩) الصحاح (علب) .

جاع عرف^(١)، ولا إن شيع عرف.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّكُمْ لَلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ «ما» نفي، و«أحد» في معنى الجمع، فلذلك نعتة بالجمع، أي: فما منكم قوم يحجزون عنه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] هذا جمع، لأن «بين» لا تقع إلا على اثنين فما زاد^(٢). قال النبي ﷺ: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم»^(٣). لفظه واحد، ومعناه الجمع. و«من» زائدة. والحجز: المنع. و«حاجزين» يجوز أن يكون صفة لـ«أحد» على المعنى كما ذكرنا؛ فيكون في موضع جر، والخبر «منكم». ويجوز أن يكون منصوباً على أنه خبر، و«منكم» ملغى، ويكون متعلقاً بـ«حاجزين». ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا؛ كما لم يمنع الفصل به في: إن فيك زيدا راغب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَعَنَّا أَنْ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّكُمْ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّكُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَعَنَّا أَنْ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: بالقرآن. ﴿وَإِنَّكُمْ لَحَسْرَةٌ﴾ يعني الله. ونظيره: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُنْفِقِينَ﴾ [البقرة: ٢] على ما بيّناه أول سورة البقرة^(٥). وقيل: المراد محمد ﷺ^(٦)، أي: هو تذكرة ورحمة ونجاة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّكُمْ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّكُمْ

لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: بالقرآن. ﴿وَإِنَّكُمْ لَحَسْرَةٌ﴾ يعني

(١) في (ظ): عرق، وقول عكرمة في النكت والعيون ٨٧/٦، ونسبه السيوطي في الدر المشثور ٦/٢٦٣

لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/١٨٣.

(٣) سلف ٤/٤٩٧.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/٢٤٦ عن قتادة.

(٥) ١/٢٤٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٣٦٣.

التكذيب. والحسرة: الندامة. وقيل: أي: وإنَّ القرآنَ لحسرةٌ على الكافرين يوم القيامة إذا رأوا ثوابَ مَنْ آمن به. وقيل: هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدرُوا على معارضته عند تحديهم أن يأتوا بسورةٍ مثله^(١). ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ يعني أنَّ القرآنَ العظيم تنزِيلٌ من الله عزَّ وجلَّ، فهو لحق^(٢) اليقين. وقيل: أي: حَقًّا يقينًا ليكونَ ذلك حَسْرَةً عليهم يومَ القيامة^(٣). فعلى هذا «وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ» أي: لَتَحَسُرَ؛ فهو مصدرٌ بمعنى التحسر، فيجوز تذكيره. وقال ابن عباس: إنما هو كقولك: لَعَيْنُ اليقين ومحض اليقين. ولو كان اليقين نعتًا لم يجر أن يضافَ إليه؛ كما لا تقول: هذا رجلُ الظَّريف. وقيل: أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين^(٤).

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي فصلِّ لربِّك؛ قاله ابن عباس^(٥). وقيل: أي: نَزَّهَ اللهَ عن السُّوء والنقائص^(٦).

خُتِمَتِ السُّورَةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

(١) النكت والعيون ٨٧/٦. وكلام الربيع فيه .

(٢) في (ظ) : بحق .

(٣) النكت والعيون ٨٨/٦ عن الكلبي .

(٤) تفسير البغوي ٣٩١/٤ .

(٥) النكت والعيون ٨٨/٦ .

(٦) المصدر السابق ، ومعاني القرآن للزجاج ٢١٨/٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦/٥ بنحوه .